خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٥م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كنت أتحدث في الخطبة الماضية عن سيرة النبي ﷺ في غزوة أُحد. وإليكم الآن مزيدا من التفاصيل بهذا الشأن. عندما نزل رسول الله ﷺ في أرض أُحد، كان جيش المسلمين يواجه جبل أُحد من جانب مما أدى إلى حماية مؤخرة جيش المسلمين من هجوم العدو. وكان في الجانب الآخر ممر جبلي. وكان ممكنا للعدو أن يهاجم من هذا المكان عند سنوح الفرصة. فتفطّن رسول الله ﷺ لخطورة الموقف وحساسيته وعيّن على الممر خمسين من الرماة وأمّر عليهم عبدَ الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف. وقد جاء في صحيح البخاري تفصيل ذلك كما يلي:

"إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ".

وفي رواية أخرى في البخاري: قَالَ لَا تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا. أي لا تتركوا المكان في أيّ حال.

يقول واحد من كتّاب السيرة: انضحوا الخيل عنا، لئلا يأتوا من ورائنا ويهاجمونا. وإن كانت لنا، اثبتوا مكانكم لا نؤتين من قبلكم، الزموا مكانكم لا تبرحوا عنه. وإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم. وإن رأيتمونا نُقتَل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تُقدِم على النبل. إنا لن نزال غالبين ما ثبتُّم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم".

ويقول كاتب آخر: فإذا رأيتم أننا نجمع الغنائم فلا تنضموا إلينا. لا بد أن تحرصوا على حمايتنا في كل الظروف.

ويقول كاتب آخر في ذكر خمسين راميا: ومن أتيحت له فرصة رؤية ميدان المعركة والتعرف على موقع جبل الرماة الذي يقع على أطراف وادي القناة، سيتعرف على التجربة العسكرية العظيمة للرسول

الكريم ﷺ. لقد تميز النبي ﷺ بالمهارة الواسعة في تخطيط القوة العسكرية وتنظيمها واختيار أفضل الفرص والإعداد اللازم لكسب المعركة.

كانت هذه الإستراتيجية الحربية هي الأفضل، مما يكشف عبقرية القيادة العسكرية للرسول الكريم ﷺ وتثبت أنه لا يمكن لأي قائد مهما كان ذكاؤه أن يقاتل بخطة أحكم من هذه في تلك الظروف. مع أنه ﷺ كان قد نزل إلى ميدان أُحد بعد العدو، مع ذلك اختار المكان الأفضل لجيشه من حيث الخطة الحربية. فقد حمى النبي ﷺ ظهره وميمنته بمرتفعات الجبل، وفي الميسرة كان الشَّق الوحيد الذي كان بإمكان العدو أن يصل من خلاله إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فقد أغلقه ﷺ بالرماة ثم اختار في ميدان الحرب مكانًا أعلى نسبيًّا لمعسكره، واضعا في الحسبان أن يتمكن الجيش الإسلامي في حالة الهزيمة –لا سمح الله– من الوصول بسهولة إلى ملاذ آمن بدلاً من الهروب والوقوع في أسر المطارِدين. وإذا هاجم العدو مركز الجيش الإسلامي وتقدم للسيطرة على مركز الجيش فسوف يتكبد خسارة فادحة. وهكذا أجبر النبي ﷺ العدو على البقاء في الصحراء في مكان منخفض. ظنّت قريش أن جيش الإسلام سيخرج من المدينة وينـــزل أمامهم مباشرة، إلا أن رسول الله ﷺ صفّ الجيش بأسلوب جعل منه نصف دائرة، وترك العدو في الغرب، واختار لجيشه المكان الأكثر أمانًا خلف العدو. فهكذا أصبح الجيش الإسلامي الآن في وضع ممتاز. حيث كان جانبه الخلفي والأيمن محميان بجبال أُحد. وعلى الجانب الأيسر كان الرماة لحماية الممر، وكان الجزء الجنوبي الشرقي وراء جبل الرماة هو وادي قناة، وكان من المستحيل على العدو الهجوم منها.

لقد ذكر مرزا بشير أحمد ﷺ تفصيل واقعة أُحد في كتابه "سيرة خاتم النبيين" كما يلي: لقد تقدم النبي ﷺ متوكلا على نصرة الله تعالى ونزل في ميدان أُحد بحيث كان جبل أُحد وراء المسلمين، وكأن المدينة أمامهم. هكذا جعل ﷺ مؤخرة الجيش محفوظة. كان في الجبل وراءهم ممرٌّ وكان من الممكن للعدو أن يشن الهجوم من ذلك الاتجاه. فدبّر النبي ﷺ حماية هذا المكان بحيث عيّن هنالك خمسين راميا تحت إمرة عبد الله بن جبير ﷺ، ونصحهم ألا يتركوا المكان مهما كان الأمر بل يجب أن يستمروا في إطلاق السهام على العدو. كان النبي ﷺ كثير الاهتمام بحماية هذا المنفذ حتى نصح عبد الله بن جبير ﷺ مرارا ألا يتركه هو وأصحابه مهما كان الأمر، حتى ولو رأيتم انتصار المسلمين وفرار العدو مهزوما أو رأيتم هزيمة المسلمين وغلبة العدو عليهم فلا تتركوا الجبل بأي حال. وقد جاء في رواية أن النبي ﷺ أمرهم بما مفاده: لا تتركوا الجبل وإن رأيتم الطيور تأكل لحومنا، إلا أن آمركم بتركه.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ بهذا الشأن:

وصل النبي ﷺ إلى ميدان أُحد أخيرا وعيّن هنالك خمسين راميا لحماية الممر في الجبل، ونصح قائد الرماة قائلا إن هذا الممر مهم جدا فلا تتركوه سواءً أُقتِلنا أو انتصرنا. ثم خرج ﷺ لمواجهة العدو مع ٦٥٠

صحابيا، وكان هذا العدد يقارب خُمس عدد العدو. بعد تعيين الرماة اطمأن رسول الله ﷺ وانصرف إلى إعداد الصفوف، وتكليف القادة بمسؤولياتهم. إن وضع المسلمين في الظاهر كان ضعيفا جدا مقابل الكفار، من حيث العدد والعُدة والعتاد. وكان هناك تفاوتا كبيرا بين الفريقين من حيث جودة الأسلحة أيضا. أما من حيث العدد فكان هناك مسلم واحد مقابل أربعة من المشركين. فكان جيش المشركين حائزا على وضع ممتاز من حيث كتيبة الفرسان أيضا. وزِد إلى ذلك أن معظم الشباب في الجيش الإسلامي بغير دروع وكان مئة منهم (أي من المشركين) لابسين الدروع. بينما كان في جيش مكة أي جيش الكفار سبع مئة يلبسون الدروع، وكان هذا العدد يساوي عدد جيش المدينة ببكرة أبيهم. لقد صُفَّ جيشُ المشركين في عشرة صفوف، بينما كان لجيش المسلمين صفان فقط وقد عُيِّن خمسون راميا على الممر ناحية الجبل. وكان المسلمون يحتلون المكان الأهم والأحكم في ميدان القتال. عيّن رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على ميمنة الجيش وعلى ميسرته المنذر بن عمرو الغنوي. وقال ﷺ: "من يحمل لواء المشركين؟ " قيل: طلحة بن أبي طلحة، فقال رسول الله ﷺ: "نحن أحق بالوفاء منهم". فأخذه من علي ودفعه إلى مصعب بن عمير الذي كان من القبيلة نفسها أي من بني عبد الدار بني قصي أي أعطى النبي ﷺ لواء مسلمًا من القبيلة التي كان منها حامل لواء قريش.

يتابع الكتاب: كانت العائلة نفسها مكلفة بحمل اللواء قبل الإسلام أي بنو عبد الدار. والمراد من الوفاء هو إيفاء عهد هو عهد قصَي أي إيفاء عهد الوفاء للقوم. والذي قال النبي ﷺ عنه: "نحن أحق بالوفاء منهم". وكان شعار المسلمين يؤمئذ: أَمِتْ أَمِتْ. كان رسول الله ﷺ يدعو الله تعالى بتضرع وخشوع وخضوع وابتهال للفتح والانتصار. كان على ميمنة صفوف الجيش الإسلامي وميسرته أنصار المدينة. وكان رسول الله ﷺ موجودا مع المهاجرين في قلب الجيش حيث يكون القتال أشد. وكان مقامه ﷺ في الوسط تماما خلف الصف الثاني مع المهاجرين. أي كان ﷺ موجودا في وسط الصف الثاني بعد الصف الأول فورا. وكان ﷺ قد أمر الصحابة ألا يتقدموا قبل تلقيهم الأوامر منا. وقد وردت رواية في صحيح مسلم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ دعا يوم أُحد: اللهم إنك إن تشأ لا تُعبد في الأرض. أي إن لم تنصرنا فهذه هي النتيجة، وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ دعا هذا يوم بدر، فقد ذُكر هناك أيضا، وقد ورد في شرح صحيح مسلم أن من المحتمل أنه ﷺ دعا بذلك في المعركتين كلتيهما، والله أعلم. وعن سعد بن أبي وقاص أن عبد الله بن جحش قال: تعال معي ندعو الله معا، فلما تنحيا دعا اللهَ سعدٌ: يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُه، فَأُقَاتِلُه فِيْكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِيْ عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَه، وَآخُذَ سَلَبَه ثم قام عبد الله بن جحش فدعا الله: اَللّٰهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ، شَدِيدًا بَأْسُه، أُقَاتِلُه فِيْكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيْتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللهِ فِيْمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُوْلُ: فِيْكَ وَفِيْ رَسُوْلِكَ، فَتَقُوْلُ: صَدَقْتَ.

قال سيدنا سعد بن أبي وقاص: يا بنيَّ كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه لمعلَّقان في خيط. أي كان العدو قد مثَّل به.

وقد أجيب دعاءُ كليهما، حيث انتصر أحدهما على العدو، والثاني أيضا قاتل بشجاعة لكنه استُشهد، فهذا كان بيان دعائهما.

وقال عبد الله بن عمرو بن حرام: رأيت في الرؤيا قبل يوم من أُحد مبشرَ بن عبد المنذر، (وكان قد استُشهد في بدر) يقول لي: أنت قادم علينا في أيام، فقلت: وأين أنت؟ قال: في الجنة، نسرح فيها كيف نشاء. قلت له: ألم تُقتل يوم بدر؟ قال: بلى، ثم أُحييت. فذكَر ذلك عبدُ الله بن عمرو بن حرام لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: هذه الشهادة يا أبا جابر. ففي رواية عن جابر ﷺ أن أباه قد استشهد في أُحد.

وقد ورد في تفصيل ذلك أكثر، أن المشركين اصطفُّوا في السبخة، وتعبَّأوا للحرب جيدا، وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وعلى المشاة صفوان بن أمية، ويقال: عمرو بن العاص، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة -وأسلموا كلُّهم لاحقا- ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار.

وإن ما قال النبي ﷺ إنّا أحق بالوفاء، فقد ورد تفصيل ذلك.

دفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار. وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك: يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواءنا ببدر فأصابنا ما قد رأيتم، فإنما يتوقف حكم الحرب على أصحاب راياتها، إذا كان صاحب اللواء قويا يتشجع الجنود، وإذا هرب هرب القوم كلهم.

فإما أن تكْفُونا لواءنا، وإما أن تُخلُّوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فكان قد أثار حميتهم فقالوا: أنحن نسلّم إليكم لواءنا؟ ستعلم إذا التقينا كيف نصنع.

وفي الأخرى كانت خيام نساء قريش وهن يضربن الدفوف باستمرار ويذكرن قتلى بدر، مما كان يرفع معنويات المقاتلين ويحثهم على تعويض الخسارة السابقة.

يقول سيدنا مرزا بشير أحمد ﷺ في كتابه سيرة خاتم النبيين: بعد أن حمى النبيُّ ﷺ عقب الجيش الإسلامي صفَّه ﷺ وجعل لشتى الفصائل أمراء، وأُخبر حضرته ﷺ أن راية جيش قريش عند طلحة، وكان من العائلة التي هي أحق بحمل راية قريش في الحروب بحسب النظام الذي أقامه جد قريش قصي بن كلاب. فلما علم بذلك النبي ﷺ قال نحن أحق بالوفاء القومي، فأخذ راية المهاجرين من سيدنا علي وسلَّمها لسيدنا مصعب بن عمير الذي كان من نفس عائلة طلحة، وفي الطرف الآخر كان جيش قريش أيضا قد اصطفَّ، وكان أبو سفيان أمير العسكر وكان على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة

عكرمة ابن أبي جهل، وكان على الرماة عبد االله بن ربيعة وكانت النساء يحمسن الرجال بضرب الدفوف وإنشاد الأشعار.

وعندما كان الجيشان يصطفَان نادى أبو سفيان المسلمين الأنصاريين. يا معشر الأوس والخزرج، خلُّوا بيننا وبين أفراد عائلتنا، فأنتم لا تعنوننا. فلامَه الأنصار كثيرا ولعنوه.

الآن بدأت الحرب وأول من بدأها أبو عامر الفاسق، وكان يسمى في الجاهلية الراهبَ، وسمّاه رسول الله ﷺ بالفاسق. كان قد هرب من المدينة إلى مكة، وقال لقريش عندما ألتقي بقومي سينضمون إلي، أي كان عنده سوء فهم أنه عندما يذهب مع قريش وهناك يعلن اسمه فسوف يترك الأنصارُ المسلمين وينضمون إليه. باختصار قد طلع في خمسين من قومه ويقال: كان خمسة عشر منهم قد ذهبوا معه إلى مكة، والبقية كان قد جمعهم من شتى القبائل وعبيدا من أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، فقال له الأنصار: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق، فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ، ثم قاتلهم قتالا شديدا، وراضخهم بالحجارة.

وكان سيدنا حنظلة بن أبي عامر قد شارك في هذه الحرب في جيش المسلمين، واستأذن رسولَ الله ﷺ في قتل أبيه بنفسه، فمنَعه النبي ﷺ من القيام بذلك. الجدير بالملاحظة أن النبي ﷺ في أثناء الحرب نهاه عن ذلك وقال سيقتله غيرك، وذلك لكي يحافظ على وعيه.

فبعد أبي عامر خرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز، فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا، فقام إليه الزبير، فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه، فاقتتلا فوق البعير، فقال رسول الله ﷺ: الذي يلي حضيض الأرض مقتولٌ، فوقع المشرك، فوقع عليه الزبير فذبحه، فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال: لكل نبي حواري، وإن حواريَّ الزبير وقال ﷺ لو لم يبرز إليه الزبيرُ لبرزتُ إليه.

فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها، فقالت هند فيما قالت: ويها بني عبد الدار * ويها حماة الأدبار ضربا بكل بتار

وتقول أيضا: نحن بنات طارق * نمشي على النمارق الدر في المخانق * والمسك في المفارق إن تقبلوا نعانق * أو تدبروا نفارق فراق غير وامق.

وبذلك حاولت إثار الحماس والحمية، فلما سمع ذلك رسولُ الله ﷺ قال: "اللهم بك أجول، وبك أصول، وفيك أقاتل، حسبي الله ونعم الوكيل".

فكانت وسيلة مادية للكفار فقال النبي ﷺ إن وسيلتنا هو الله ﷻ.

باختصار بدأ الجيشان القتال، وفي ذلك اليوم قاتل الناس بشدة واحتدمت الحرب. وأظهر أبو دجانة الأنصاري وطلحة بن عبيد الله وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وسعد بن ربيع وغيرهم شجاعة كبيرة في المعركة. وأنزل الله نصْره للمسلمين وأنجز وعده وقتل المسلمون المشركين

بالسيف. حتى طردوهم من الجيش أو طردوا جيشهم. هاجمت فرسان المشركين المسلمين ثلاث مرات. وفي كل مرة هُزموا بالسهام، قال سيدنا عمر يومها لأخيه زيد: يا أخي البسْ درعي، فقال زيد: وأنا أيضا أرغب في الشهادة مثلك.

فلم يلبس هذان الأخوان الدروع شوقًا للشهادة في القتال. ولما اشتد القتال يومئذ جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار وأرسل إلى علي ﷺ ليحمل الراية ويتقدم. فتقدم ونادى: أنا أبو القصم. فبرز من بين صفوف المشركين بين الصفين رجل اسمه طلحة بن أبي طلحة حاملا لواء المشركين، وكان من بني عبد الدار الذين كانوا حَملة لواء المشركين، لأن والدهم عبد الدار هو الذي صنع لواء قريش. فبارز طلحةُ بن أبي طلحة المسلمين ونادى مرارا مَن يواجهني. فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم شهداء إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار، وفي رواية قال: يا أصحاب محمد (ﷺ) تزعمون أن الله تعالى يعجّلنا بسيوفكم إلى النار ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل أحد منكم يعجّلني بسيفه إلى النار، أو أعجّله بسيفي إلى الجنة؟ وحلفَ وقال لإثارة مشاعر المسلمين: كذبتم، واللاتِ والعزى: لو أيقنتم بذلك حقًّا لخرج إليّ بعضُكم. فخرج إليه علي ﷺ، فاختلفا ضربات السيف، فقتله علي ﷺ.

وفي رواية: فبدره عليّ وقطع رجله وصرعه على الأرض، فبدت عورته، فقال: يا أخي أُنشدُك اللهَ والرحِمَ. فرجع عليّ عنه ولم يُجْهِزْ عليه. فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزتَ عليه؟ فقال عليّ: قد انكشفت عورته وهو يستقبلني، فترحمتُ عليه، وعرفتُ أن الله قد أهلكَه. وفي رواية قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: ما منعك أن تُجهِز عليه؟ فقال: ناشدني اللهَ والرحِمَ. فقال ﷺ: اقتلْه، فقتله عليّ ﷺ.

وكان مقتل حامل راية المشركين تحقيقا لرؤيا النبي ﷺ بأنه مردفٌ كبشًا: وسُرّ النبي ﷺ بذلك وكبّر عاليا، فكبر المسلمون، وحملوا حملة شعواء شتتت صفوف الأعداء. وصار أصحاب رسول الله ﷺ في جماعات يقطعون المشركين بسيوفهم حتى دفعوهم من أمامهم. وبعد قتل طلحة أخذ لواء المشركين أخوه أبو شيبة عثمانُ بنُ أبي طلحة، فحمل عليه حمزةُ ﷺ بسيفه فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى عظم التَرْقُوة، ورجع حمزة بعد قتله وهو يقول: أنا ابنُ ساقي الحجيج يعني عبد المطّلب. فأخذ راية المشركين أخو عثمان وأخو طلحة واسمه أبو سعيد بن أبي طلحة؛ فرماه سعد بن أبي وقاص ﷺ بسهمٍ أصاب صدره فقتلَه. فحمل الراية مسافعُ بنُ طلحةَ بنِ أبي طلحة الذي قتله علي ﷺ. فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله. ثم حمل الراية أخو مسافع وهو الحارث بن طلحة، فرماه عاصم بسهم فقتله أيضا. وكانت أم مسافع والحارث، وهي سُلافة، معهما في جيش المشركين، وكل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتي أمَّه ويضع رأسه في حجرها، فتقول له :يا بُنيّ مَن أصابك؟ فيقول :سمعتُ رجلا حين رماني يقول:

خُذْها وأنا ابنُ أبي الأفلح. فنذرتْ إنْ أمكنَها اللهُ من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمرَ، وجعلتْ لمن جاء برأسه مائةً من الإبل. ولكن عاصم ﷺ لم يُقتل في غزوة أحد وإنما استُشهد في سرية الرجيع. بعد مقتل هذين الأخوين حمل راية المشركين أخوهما الثالث وهو كلاب بن طلحة، فقتله الزبيرُ ﷺ، وقيل: قتلَه قُزْمانُ. ثم حمل الراية أخوهم الجُلاس بنُ طلحة، فقتله طلحةُ بنُ عبيد الله ﷺ. وهكذا فإن الإخوة الأربعة، مسافع والحارث وكلاب والجلاس، أولادَ طلحةَ بن أبي طلحة، كلهم قُتِلوا كأبيهم وعَمِّهم، وهما عثمان وأبو سعيد، يومَ غزوة أحد.

وعند ذلك حمل الراية أرطأةُ بنُ شُرَحْبيل، فقتلَه عليّ، وقيل حمزة رضي الله عنهما. فحملها شُريحُ بنُ قارظ، فقُتِلَ، و لم يُعرَف اسمُ قاتله. ثم حمل الراية أبو زيد بن عمرو، فقتله قُزْمانُ. فحملها وَلَدٌ لشرحبيل بنِ هاشم، فقتله قُزْمان أيضا. ثم حملها صوابٌ غلامُهم، وكان حبشيا، فقاتلَ حتى قُطعت يده، فبركَ وضمَّ الرايةَ لصدره وعنقه حتى قتله قزمان. وقيل: قتلَه سعد بن أبي وقاص، وقيل علي رضي الله عنهم. ولما قُتل جميع حَمَلةِ الراية، فرّ المشركون مهزومين، ولعنتْهم نساؤهم بالموت والثبور. وكما كان رسول الله ﷺ رأى في الرؤيا فإن حَمَلةَ رايةِ المشركين قُتلوا كلُّهم، وكان المسلمون يلاحقون المشركين ويقتلونهم حتى دفعوهم عن جيشهم. كما هربت النساء اللواتي جئن مع جيش قريش، و لم يبق لهن شك في هزيمة قريش. ودخل المسلمون في جيش المشركين وأخذوا يجمعون الغنائم.

وكتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ في كتابه "سيرة خاتم النبيين" في بيان هذا الحادث: كان أول من تقدم من جيش قريش هو أبو عامر وأصحابه، وكان من أهل المدينة من قبيلة الأوس، وكان شهيرا بالراهب، وبعد قدوم النبي ﷺ إلى المدينة بفترة امتلأ بغضًا وحسدا، ولحق بأهل مكة مع فئة من أصحابه، وظلّ يؤلّب قريشا على النبي ﷺ والمسلمين، وحضر الآن معركة أحد مناصرا لقريش ضد المسلمين.

ومن عجائب القدر أن ابن أبي عامر هذا حنظلةَ ابن أبي عامر كان مسلما مخلصا، وحضر هذه المعركة مع المسلمين واستُشهد وهو يقاتل بشجاعة واستماتة. وكان أبو عامر من ذوي النفوذ بين الأوس، فكان يأمل أملا كبيرا أن أهل المدينة إذَا رَأَوْهُ بعد فترة غياب هذه أَطَاعُوهُ وَمَالُوا مَعَهُ حبًّا له خاذلين النبي ﷺ، فكان أول مَن تقدم مع أصحابه ونَادَى يا معشر الأوس أنا أبو عامر. فَقَالت لَهُ الأنصار بصوت واحد: اخسأْ، لَا أَنْعَمَ اللّٰهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ. ثم رموه بحجارة، فهرب أبو عامر وأصحابه فزعين. برؤية هذا المشهد تقدم حامل لواء قريش طلحةُ في ثورة وحماس ونادى بمنتهى الكبريا بأن يبارزه أحد من المسلمين. فخرج له علي ﷺ، وقطعه صريعا بعد أن تبادلا بضع ضربات بسيفيهما. ثم خرج أخو طلحةَ عثمانُ، فخرج له حمزةُ ﷺ، وألقاه صريعا في لمح البصر. فثار الكفار برؤية ذلك وشنّوا هجوما عاما. فكبّر المسلمون وتقدموا واشتبك الجيشان. باختصار، بعد مقتل حملة لواء قريش تقاتلَ الفريقان بشدة وحمي الوطيس، وظل الطرفان يقتل بعضهما بعضا، وفي الأخير لم يثبت جيش قريش ولاذ بالفرار.

وقد كتب المؤرخ الإنجليزي الشهير السير وليام موير:تزعزعت أقدام جيش المكيين أمام هجمات المسلمين القوية. لقد حاولت كتائب قريش مرارا أن تهاجم جيش المسلمين من اليسار ومن الوراء، ولكنها اضطرت للتقهقر في كل مرة بعد تلقّي مطر السهام من قبل الرماة الخمسين الذين كان محمد ﷺ عيّنهم هنالك بوجه خاص. لقد أبدى المسلمون في ساحة أُحد نفس الشجاعة والبسالة وعدم المبالاة بالخطر والموت التي أبدوها في معركة بدر. (هذا ما كتبه مؤرخ إنجليزي) كانت صفوف جيش المكيين تتشتت باستمرار. وكلما هاجم أبو دجانة بسيف أعطاه محمد ﷺ لابسا عصابة حمراء ودرعًا نشرَ الموت في كل طرف وصوب، وكان حمزة يُرَى بارزا في كل مكان مع ريش نعامة على رأسه. وكان علي بشعره الأبيض الطويل والزبير بعمامته الصفراء البراقة، مثل البطل الشجاع إليد، يحملان معهما الموت والمتاعب للعدو أينما ذهبا، (إليد هذا الذي ذكره وليام ميور، هو بطل من القصص اليونانية وكان محاربا شرسا.) يقول إن هذه هي المعالم التي تدرب فيها أبطال الفتوحات الإسلامية اللاحقة.

ولذلك وقع القتال وكان شديدا جدًّا، وظل جانب الغلبة مشكوكًا فيه لفترة طويلة، لكن أخيرًا، بفضل الله، بدأت قريش تفقد توازنها، وبدأت تظهر علامات الفوضى والفساد في جيشهم. قُتل حملة لواء قريش واحدًا تلو الآخر، وأمسك تسعة منهم لواءهم بأيديهم تباعًا، لكن جميعهم قُتلوا على يد المسلمين بدورهم، كما ذكرتُ. وأخيرًا تقدم عبد حبشي لطلحة اسمه صواب بجرأة وأخذ اللواء، لكن تقدم مسلم وطعنه وقطع يديه بضربة واحدة وأسقط لواء قريش على الأرض، لكن حالة شجاعة صواب وحماسه كانت واضحة أيضًا، حيث سقط مع اللواء على الأرض وحاول رفعه مرة أخرى بوضعه على صدره، لكن هذا المسلم الذي كان يعرف قيمة وقع اللواء ضرب صوابا بالسيف من فوق حتى مات. وبعد ذلك لم يتجرأ أحد من قريش لرفع لواءهم. ومن ناحية أخرى، علِم المسلمون بأمر الرسول ﷺ فكبّروا، ثم هجموا بقوة، فرقوا صفوف العدو وشردوهم حتى وصلوا إلى نساء قريش في الجانب الآخر من الجيش، وتشرد جيش مكة تماما وهربوا من الميدان بعد وقت قليل. وبعدها اطمئن المسلمون لدرجة أنهم انشغلوا بجمع الغنائم.

قال حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه: حدثت المعركة، وبعون الله تعالى وتأييده، في وقت قصير، هرب ثلاثة آلاف من جنود مكة ذوي الخبرة منهزمين مقابل ستة مائة وخمسين من المسلمين. وعندما بدأ المسلمون في مطاردتهم، قال أولئك الذين كانوا واقفين لحماية الممر الخلفي لأميرهم: الآن انهزم العدو، فلنأخذ الآن أجر الجهاد. فمنعهم الأمير من ذلك وذكّرهم بكلام رسول الله ﷺ، فقالوا. وما قاله رسول الله ﷺ إلا للتأكيد، وإلا فلا يمكن أن يقصد ﷺ أن تقفوا هنا حتى لو هرب العدو. وبقولهم هذا، تركوا الممر ونزلوا إلى ساحة المعركة. ولهذا العصيان ظهرت عواقب فيما بعد، وسيأتي ذكرها مستقبلا.

وكتب وليام ميور عن سيف أبي دجانة أيضا، من هو ذلك الصحابي الذي أخذ سيف رسول الله ﷺ ودفع حقه؟ قال فيه أنس ﷺ بأن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد، فقال: من يأخذ هذا مني؟ فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: فمن يأخذه بحقه، فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، فأخذه، ففلق به هام المشركين. أخرجه مسلم. أي أدى حقه.

وقد كتب ابن عتبة أن رسول الله ﷺ لما أظهر السيف طلبه عمر ﷺ فأبى عليه. سأل عمر أولا، ثم سأل الزبير ولكن النبي ﷺ أعرض و لم يعطه أيضًا. فتأسف كلاهما عليه في قلبيهما، وفي رواية أن الزبير ﷺ طلب السيف ثلاث مرات. كل مرة أعرض النبي ﷺ، وقف علي ﷺ ليطلب منه ولكن النبي ﷺ أجلسه. لم يعطه أيضا. وجاء في رواية أن الصحابة الذين عبروا في هذه المناسبة عن رغبتهم في الحصول على السيف كان من بينهم أبو بكر ﷺ.

وفي رواية قال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: لا تقتل به مسلما ولا تفر به مقابل العدو أي يجب أن تواجه العدو بثبات. فقال أبو دجانة: أنا آخذه يا رسول الله بحقه فحين أعطاه النبي ﷺ هذا السيف فلق به رؤوس المشركين، وأخذ يرتجز فيقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

وبعد أخذ هذا السيف بدأ أبو دجانة يتبختر بين الصفين وهو يمشي مشية المتكبر، فقال رسول الله ﷺ: إن هذه مشية يبغضها الله عز وجل إلا في هذا المقام.

يقول مرزا بشير أحمد ﷺ في كتابه "سيرة خاتم النبيين" وهو يتحدث عن أبي دجانة ﷺ:

لما واجه كفار قريش هزيمة عند المبارزة غضبوا وشنّوا هجوما عاما، فتقدم المسلمون أيضا مكبّرين وتمت المواجهة بين الجيشين. ولعل بهذه المناسبة أمسك النبي ﷺ سيفه بيده وقال: من يأخذه مني ويؤدي حقه؟ فتمنى كثير من الصحابة نيل هذا الشرف، ومدوا أيديهم، بمن فيهم عمر والزبير رضي الله عنهما. وفي رواية أن أبا بكر وعليا رضي الله عنهما أيضا كانا منهم. ولكن النبي ﷺ لم يعطه أحدا منهم وظل يقول: هل هناك من يأخذ هذا السيف بحقه؟ حتى مدّ أبو دجانة الأنصاري يده وقال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه، فتقدم إلى الكفار وهو يتبختر ويمشي مرحا. فقال رسول الله ﷺ للصحابة: إنها لمشية أبغضها الله إلا في هذا الموطن.

قلق لذلك الزبيرُ الذي كان أكثر الناس رغبة في أخذ السيف وكان يرى نفسه أحق به لقرابته، وتساءل: لماذا لم يعطه النبي ﷺ السيف وأعطاه أبا دجانة. ولإزالة قلقه هذا تعهد أن يبقى مع أبي دجانة في المعركة ليرى ما يصنع أبو دجانة بهذا السيف. قال الزبير: فعصب أبو دجانة رأسه بعصابة حمراء، ودخل صفوف المشركين وهو يحمد الله تعالى، ورأيتُ أنه حيثما توجه قتل المشركين، و لم أر أحدا جاء أمامه

ثم سلم من الموت. لقد شق طريقه في جيش قريش حتى خرج من جانب آخر حيث كانت نساء قريش. وفي هذه الأثناء رأى هندًا زوجة أبي سفيان تحمِّس الرجال بقوة وشدة. رفع أبو دجانة سيفه عليها فولولت مستنجدة رجالها ولكن لم يخرج لنجدتها أحد. ثم رأيتُ أن أبا دجانة أهوى سيفه بنفسه وتنحى من هنالك. قال الزبير: فسألتُه: ما القصة إذ قد رفعت السيف أولا ثم أهويتَه؟ قال: كرهتُ أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها. هذه هي مبادئ الإسلام. يقول الزبير: عندها أدركتُ أنه هو الذي أدى حق سيف رسول الله ﷺ كما يجب.

لقد ذكر سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه هذا الحادث كله ثم ذكر: سأل صحابي أبا دجانة لقد أشهرت السيف على هذه المرأة ثم لماذا لم تقتلها؟ فقال أبو دجانة: لم يحتمل قلبي أن أستخدم سيف النبي ﷺ على امرأة ضعيفة. كتب حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يعلِّم الصحابة دائمًا احترام المرأة، ولهذا السبب كانت نساء الكفار تسعى لإيذاء المسلمين بجرأة أكبر، وبالرغم من ذلك كان المسلمون يتسامحون مع هذه الأشياء. هذه إذن هي مبادئ الحروب الإسلامية. وسأتناول هذا البيان في المستقبل بإذن الله.

استمروا في الدعاء من أجل الفلسطينيين أيضًا. إن الظلم يبلغ منتهاه يوما بعد يوم، بل إنه يتزايد. نسأل الله أن يبطش الآن بالظالمين وييسر أمور أهل فلسطين المظلومين، وأن يهب الحكمة والعقل للدول الإسلامية حتى يكون صوتها واحدًا وتسعى لأداء حق الإخوة المسلمين.

*****